

تفسير أبي السعود

سورة النور 14 16 عليهم بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليهم الحد خاصة وإما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولاً لا يساعده الدليل أصلاً ولولا فضل الله عليكم خطاباً للسامعين والمسمعين جميعاً ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة والآخرة من الآلاء التي من جملتها العفو بعد التوبة لمسكم عاجلاً فيما أفضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك والإبهام لتحويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاص واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد إذ تلقونه بحذف إحدى التاءين طرف للمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين بالسنتكم والتقي والتلف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذف والمهارة وقرئ تلقونه تلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألّقونه من الولق والإلق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجده وتثقفونه أي تتعبونه وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلاً لا تبعه له أو ليس له كثير عقوبه وهو عند الله والحال أنه عنده عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستمرار العذاب ولولا إذ سمعتموه من المخزعين والمشايعين لهم قلتم تكذبا لهم وتهويلاً لما ارتكبه ما يكون لنا ما يمكننا أن نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصلة نفى وجود التكلم به لا نفى وجوده على وجه الصحة والاستقامة والإنبغاء وهذا إشارة إلى ما سمعوه وتوسيط الطرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التخصيص بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفتقر إلى التخصيص على تركه وأما ترك القول نفسه رأساً فيما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما قيل إن المعنى إنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وإنها لا تنفك عنها لذلك يتسع فيها ما لا